

العمل الحر بدل التهافت على وظائف الحكومة

بقلم الأستاذ عريان سعد

[التبت هذه الكلمة من محطة الإذاعة اللاسلكية]

بينت في كلمة سابقة بعض أبواب الربح الوفير الذي يدره العمل الحر وضربت لذلك مثلا إصلاح السيارات وكيف أن هذا العمل وحده يدر في القاهرة وحدها نحو مليون من الجنيهات في العام وكيف أن خريجي كلية الهندسة وخريجي مدارس الصناعات الهندسية لا يعملون من هذا العمل باب رزق بل طريق ثراء لهم وهم أحق الناس بالقيام به .

ولقد قلبت وجوه هذه المشكلة حتى أقف على سرها وأصل الى حلها صحيح أن لرأس المال أثرا يترك في كل عمل ، ولكن هل رأس المال هو الذي يحول بين خريج الهندسة وهذه الصناعة صناعة إصلاح السيارات .

لا يحتاج من يريد أن يقدم على هذا العمل الى رأس مال كبير ولا صغير فكل ما يحتاج اليه قطع رخيصة من مفاتيح ومفكات ، وكلنا يرى ورش إصلاح السيارات ليس فيها ما يحتاج الى رأس مال يتجاوز بضعة جنيهات وكل ما يحتاج اليه هو خبرة صاحب الورشة الذي يتبين عيب السيارة ويشير على الصانع بما يعملون .

السر إذن ليس قلة رأس المال والدليل على ذلك أيضا أنه ليس من المعقول أن كل خريجي كلية الهندسة من الفقراء المعدمين فإن بينهم من غير شك كثيرون من أولاد الموسرين فإن كان رأس المال هو العقبة فلم ينزل أولاد الموسرين من خريجي كلية الهندسة الى ميدان العمل الحر وقد توفر لديهم رأس المال إن كان رأس المال هو العقبة في سبيل من يريد اختيار هذه الصناعة .

لعل السر أن وظيفة الحكومة أكثر ربحا ؟ ولكن هذا أيضا غير الواقع فإننا نرى من خريجي الهندسة من يقبل العمل باليومية بأجر قدره أربعمائة قرشا فلا يزيد راتبه على عشرة جنيهات مع أن صاحب أصغر ورشة من ورش إصلاح السيارات لا يقل ربحه عن ضعف هذا القدر الزهيد .

وإن قلنا له مركز الموظف الحكومي الممتاز ولكنني إن سلمت جدلا بأن لمهندس الري مركزا أدبيا بالنسبة لماله من نفوذ في توزيع الماء ولما له من سلطان على من يتبعه من عمال الري فأى مركز أدبي لمن يعمل باليومية من خريجي الهندسة وقد جرد من السلطان الموهوم ؟

ليس مركز موظف الحكومة هو الذى يغرى نحرىي كلية الهندسة بالصغير من وظائف الحكومة .

ليس إذن الحاجة الى رأس المال ولا وفرة الربح ولا المركز الأدبى ليست هذه الأشياء هى التى تغرى نحرىي الهندسة بوظائف الحكومة وتصرفه عن العمل المار الذى ضربت له المثل بورشه لإصلاح السيارات .

إذن لا بد وأن يكون السبب فى الخرىي نفسه فما هو ؟

قال الذين حاولوا علاج هذه المشكلة أن شبابنا ينقصه الاعتماد على النفس وحب المغامرة ويجب أن تخلق فيه حاتين الصفتين .

أما أنا فأقول أن ينقصه شىء واحد وهذا النقص هو الذى يصرفه عن هذا العمل الحر . أتدرى أى شىء هو الذى ينقصه ؟

ينقصه الأساس الذى تبنى عليه الورشة ، تنقصه الخبرة فانه آخر شىء يفكر فيه بطبيعة الحال هو أن يفتح ورشة لإصلاح السيارات .

ولعلك تعجب حين أقرر ذلك كيف أن مهندسا يتخرج من كلية الهندسة لا يعرف كيف يصلح السيارة المعطلة .

ولكن معذور .

برنامج الدراسة فى كلية الهندسة كفىل بأن يخرج مهندسا علما بتصميم الآلات ورسمها أى أنه خبير بتمريخ السيارة وخبير بعلم وظائف الأعضاء فيها شأنه فى ذلك شأن طالب الطب يدرس التشرىي ويدرس علم وظائف الأعضاء .

أما الأهم وهو الأمراض وتشخيصها وعلاجها فما لم يدرسه طالب الهندسة اللهم إلا دراسة نظرية .

ولكى أقرب الى الأذهان عيوب البرنامج الحالى أضرب مثلا بكلية الطب وقد جردناها من مستشفى قصر العبنى واستعضنا عن الألف مريض الذين يعالجهم الطلبة والأساتذة بخمسة أوسنة من المرضى المزمين يوضعون فى خمس غرف أو ست فيمر بينهم الأستاذ والطلبة يشرح الأستاذ أمامهم أعراض المرض وعلاجه ثم يقهى بهم الأمر عند هذا الحد .

لو أن هذا هو الحال فى كلية الطب فمنا تكون حال الأطباء المتخرجين منها ؟ أؤكد لكم أنهم كانوا يخرجون عالين بأجزاء الجسم عالين بما يعيبه من أمراض ولكنهم ما كانوا يستطيعون تشخيص مرض أو إجراء عملية جراحية .

وهذا هو الحال فى كلية الهندسة .

فيرا بضعة آلات قديمة وبضع سيارات تنك وتركب كل عام مثلها في ذلك مثل المريض المزمن الذي ضربت به المثل يمر به الطلبة دفعة بعد دفعة فلا يرون غيره ولا يعرفون من الأمراض على تنوعها غير مرضه .

المهندس طبيب السيارة أو الآلة التي يطلب إصلاحها ، فإن لم يكن قد رأى مئات السيارات والآلات المعطلة وإن لم يكن قد باشر إصلاح تلك المئات أو حضر بنفسه مباشرة إصلاحها فلن يستطيع أن يصلح السيارة أو الآلة ولن يقدم على التعرض لإصلاحها لأنه واثق من عجزه عن القيام بذلك الإصلاح ويتحجى عنه لينجو بنفسه من خزي الخيبة .
وهو معذور فانه لا يعلم إلا ما علم ولم يعلم إلا قليلا .

ليس هذا طعنا في المهندسين فان الذي يعلمونه أجل بكثير من إصلاح السيارة لأنهم يعلمون كيف يصنعونها وكيف يصممونها ويصممونها غيرها من دقيق الآلات .
وايس هذا طعنا في كلية الهندسة فانها تعلم ما هو أجل من إصلاح السيارة إنها تعلم أسرار الصناعة والابتكار .

إنما الذي أريده بهذا القول هو أن نوجه قليلا من الاهتمام بتعليم التصميم والرسم وأن نكثر من الاهتمام بالإصلاح والترميم فليست لدينا مصانع لانتاج السيارات في حاجة إلى مهندسين للرسم والتصميم والابتكار ، أما الذي عندنا فهو سيارات تستعمل فيصيبها التلف فتحتاج إلى الإصلاح وعندنا آلات تستعمل فتتلف فتحتاج إلى الإصلاح وجدير بمهندسينا أن يعلموا وسائل الإصلاح وطرقه ما دمنا نستورد السيارات جاهزة من الخارج .

فإذا أشأنا مصانع السيارات وصدرناها إلى الخارج أصبحت حاجتنا إلى المهندس الذي يتخرج الآن من كلية الهندسة أكثر من حاجتنا إلى المهندس الذي لا يتخرج منها الآن .
ولست أطلب كما يطلب غيري تعديل برامج التعليم وأترك هذا التغيير الذي أطلب به منها غير محدد .

إنما أنا أطلب بأن تكون ورش إصلاح سيارات الحكومة وموتوسكلاتها من كلية الهندسة بمثابة قصر العيني من كلية الطب .

يجب أن يصلح الطلبة سيارات الحكومة وموتوسكلاتها بأيديهم كما يعالج طلبة الطب مرضى قصر العيني بأنفسهم .

سيقال إن كلية الهندسة في ناحية وورش الحكومة في ناحية ونقل الورش أو نقل الكلية يحتاج إلى مبلغ ضخم لا تتعمله الميزانية وإن تحمته حالت صعبوية الحصول على أدوات البناء والنأيت دون ذلك .

ولكننى اقترح أن يتوجه طلبة كلية الهندسة قسم الميكانيكا الى الورش أياما معينة في الأسبوع حيث يقومون بالدراسة العملية . بهذا وحده يتخرج المهندسين وقد أصبح كالطبيب المتخرج من كلية الطب له إلمام بتشخيص المرض ووصف الدواء وإجراء العمليات الجراحية الصغيرة طبعا في أول عهده بالطب ثم يتدرج مع الزمن .

إذا أدخلنا هذا التعديل على القسم الميكانيكى وإذا أدخلنا مثله على قسم العمارة بأن جعلنا مباني الحكومة ومباني كبار المقاولين مكانا لعمل الطلبة وجزءا من دراستهم وفرضنا على المقاولين قبولهم كما يفرض على أصحاب الأجزخانات قبول طلبة الصيدلة يتمرنون عندهم على التذاكر الطبية .

إذا أدخلنا هذا التعديل على برامج الدراسة في كلية الهندسة نخرج المهندس منها متجهها الى العمل الحر استفلا لعلمه وخبرته وارتكانا عليهما بعد أن كان يفر من هذا العمل خوفا من جهله به .

وما فانه عن السيارات أقوله عن أجهزة الراديو ، فطلبة كلية الهندسة يدرسون الراديو دراسة علمية عميقة ولكن واحدا منهم لا يجسر على أن يفتح ورشة لإصلاح الراديو رغم ماتدر هذه الصناعة هي الأخرى من ربح والسرف في هذا هو نفس ما قدمنا عن السيارات .

والعلاج هو نفسه ولكن وجود ورشة بسيارات الحكومة وموتوسكلاتها يجعل العلاج في الحالة الأولى أسهل منه في هذه الحالة ولكن فرض طلبة قسم الكهرباء على ورش إصلاح الراديو كما يفرض طلبة الصيدلة على الأجزخانات فيه العلاج الكافي .

لم أقصد من هذا الحديث شغل حيز من صفحات المجلة وإنما أقصدت به توجيه النظر إلى حالة نتمنى جميعا زوالها هي أحجام نخرى الجامعة عن مزاولة العمل الحر فاخترت طلبة الهندسة وعالجت حالتهم بما قدمت وعسى أن يصادف هذا العلاج استعدادا للائتناف به ولى في علاج نخرى التجارة والزراعة رأى عسى أن أتمكن من تسجيله .

عريان يوسف سعد